رسالة يعقوب "الطريق إلى النضج الروحي"

١٨

"إِنْ زَادَ الْغِنَى فَلاَ تَضَعُوا عَلَيْهِ قَلْبًا" (مزمور ٦٢: ١٠)

ونحن نقترب من نهاية الرسالة التي كتبها يعقوب متناولاً علامات النضج الروحي، فاستهل الرسالة بتأكيد الفرح في الامتحانات الروحية ثم تناولنا الإيمان العامل بالمحبة وفي الختام يكشف عن ضرورة الصلاة في أوقات التعب واجتياز الآلام، فينوه قائلاً إذا كان هناك مشكلات اقتصادية أو أمراض أو مشاكل في العلاقات.. فعلينا أن نتخذ من الصلاة منهج للحياة للانتصار على كثير من هذه الأمور.

أولاً نداء ودعوة للتوبة

إنها كلمات محددة ودعوة صريحة للحزن والبكاء العميق الصادق، لا بدافع الشفقة على النفس بل بكاء للتوبة عن شرور كثيرة انتشرت آنذاك بينهم فيقول لهم:

"هَلُمَّ الآنَ أَيُّهَا الأَغْنِيَاءُ، ابْكُوا مُوَلْوِلِينَ عَلَى شَقَاوَتِكُمُ الْقَادِمَةِ" (يعقوب ٥: ١)

جمع الأغنياء ثرواتهم من ظلم الفقراء والمزارعين، يبتكهم على ما فعلوه محذراً إياهم من القضاء الآتي لا محالة.

من هم هؤلاء الأغنياء؟؟

بنظرة فاحصة للكلمات لن تجد تعبير يشير من قريب أو بعيد لوضعهم في الكنيسة، فلم يستعمل يعقوب تعبير "الأخوة" كما اعتاد في هذه الرسالة، ولهذا ذهب البعض من المفسرين إلى رأي أنهم غير مؤمنين، وفي نفس الوقت

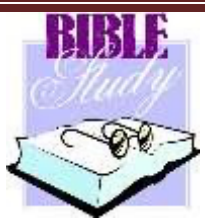

يمتلكوا مساحات كبيرة من الأراضي حيث يسكن ويشتغل لديهم مؤمنون... وهناك رأي آخر أنهم مؤمنين وقعوا في فخ محبة المال والأنانية، ولأننا في دراستنا للإصحاحات السابقة رأينا أن الهدف منها الإشارة لبعض الأخطاء والخطايا الشائعة بين المؤمنين، ولم يكن القصد هو معالجة مشاكل قومية أو أوضاع اجتماعية، لذلك فالأرجح أنها كانت موجهة لمؤمنين في الكنيسة

ما معنى "**مُوَلْوِلِين**" هذا التعبير ذُكر هنا مرة واحدة في العهد الجديد، وهو تعبير يستخدم في وصف البكاء المسموع والمتكرر... وكلمة " **ابْكُوا**" هي نفس الكلمة المستخدمة للإشارة على البكاء لميت (لو ٧: ١٣، ٣٢، يو ١١: ٣١).

الكاتب يبرر الدعوة للحزن والبكاء لأن القضاء قادم، وحدوثه على الأبواب اقترب، وهناك بعض الآراء أن كلمات يعقوب تحققت في خراب أورشليم الذي حدث بدخول تيطس القائد الروماني، الذي دمر المدينة، وصادر أموال وكنوز الأغنياء حتى أنهم واجهوا الموت واستولى الرومان على ممتلكاتهم..

سؤال: إذن هل مشيئة الله ألا يكون أحدٌ من أولاده غنيًا ماديًا؟

بكل تأكيد لا، فها هو أبرام الذي كان غنيًا جداً في المواشي والفضة والذهب (تك ١٣: ٢)، واسحق الذي تزايد في التعاظم حتى صار غنيًا جداً (تك ٢٦: ١٢).

الله الذي يأمر بالبركة، وهو من يعطي القوة لاصطناع الثروة، وأعطى وعداً لمن يتقيه أن يكون هناك رغد وغنى في بيته (تث ٢٨: ٨، ٨: ١٨، مز ١١٢: ٣).

ولكن لا ننسى أن في مخافة الرب غنى وكرامة وحياة (أم ٢٢: ٤)، وأيضاً : "وَأَمَّا الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ، فَيَسْقُطُونَ فِي تَجْرِبَةٍ وَفَخٍّ وَشَهَوَاتٍ كَثِيرَةٍ غَبِيَّةٍ وَمُضِرَّةٍ، تُغَرِّقُ النَّاسَ فِي الْعَطَبِ وَالْهَلاَكِ لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَالِ أَصْلٌ لِكُلِّ الشُّرُورِ" (١ تي ٦: ٩ ـ ١٠)

المشكلة الحقيقية ليست في الغنى بل في غياب المحبة وازدياد الأنانية والظلم، ومن يُؤخذ في هموم العالم وغرور الغنى وشهوات سائر الأشياء ستختنق كلمة الله في داخله (مر ٤: ١٩). وكيف ننسى كلمات الرب يسوع للشاب الغني الذي مضى حزينًا لأنه كان ذا أموال كثيرة "مَا أَعْسَرَ دُخُولَ الْمُتَّكِلِينَ عَلَى الأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ!" (مر ١٠: ٢٤)، ولنضع نصب أعيننا تحذير الرب لشعبه في القديم حين قال: "اِحْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَنْسَى الرَّبَّ إِلهَكَ وَلاَ تَحْفَظَ وَصَايَاهُ وَأَحْكَامَهُ.. لِئَلاَّ إِذَا أَكَلْتَ وَشَبِعْتَ وَبَنَيْتَ بُيُوتًا جَيِّدَةً وَسَكَنْتَ،.. يَرْتَفِعُ قَلْبُكَ وَتَنْسَى الرَّبَّ إِلهَكَ" (تث ٨: ١١، ١٢، ١٤).

قضاء قادم

" ِنَاكُمْ قَدْ تَهَرَّأَ، وَثِيَابُكُمْ قَدْ أَكَلَهَا الْعُثُّ. ذَهَبُكُمْ وَفِضَّتُكُمْ قَدْ صَدِئَا، وَصَدَأُهُمَا يَكُونُ شَهَادَةً عَلَيْكُمْ، وَيَأْكُلُ لُحُومَكُمْ كَنَارٍ! قَدْ كَنَزْتُمْ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ." (يع ٥: ٢، ٣). لاحظ معي استخدام ثلاثة أفعال زمن تحقيقها مستقبلي، إشارة للدينونة القادمة (تهرأ... يأكل.... صدأ). الثياب التي يأكلها العث تتهرأ وتصير عديمة القيمة والفائدة، والمعادن النقية التي لا تصدأ (الذهب والفضة) صارا بلا قيمة، مثل الحديد المتآكل بالصدأ.

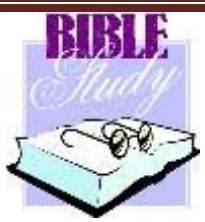

وقد اعتقد البعض أن يعقوب غير مدرك أن هذان المعدنان لا يصدءا وأن العملات المستخدمة آنذاك كانت تختلط بمعادن أخرى قابلة للصدأ ولأنه يوجه كلامه للأغنياء في ذلك الوقت قائلاً أن الصدأ علامة حقيقية وشهادة مرئية على قساوة القلب الساكن في داخلهم، فلم يفتكروا في الآخرين وأمتلأت القلوب بالأنانية والرغبة في إمتاع النفس، والتغاضي عن النظر للمعوزين والمحتاجين. فالصدأ سيدينهم، ويوم القضاء قادم لا محالة وحتى أجسادهم ستعاني آلام شديدة " وَيَأْكُلُ لُحُومَكُمْ" وكأنه يردد على مسامعهم كلمات الحكيم "مَنْ يُحِبُّ الْفِضَّةَ لاَ يَشْبَعُ مِنَ الْفِضَّةِ، وَمَنْ يُحِبُّ الثَّرْوَةَ لاَ يَشْبَعُ مِنْ دَخْل." (جا ٥: ١٠).

فهل نتذكر معًا كلمات الرب يسوع "لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا عَلَى الأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ، وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ. بَلِ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا فِي السَّمَاءِ، حَيْثُ لاَ يُفْسِدُ سُوسٌ وَلاَ صَدَأٌ" (مت ٥: ١٩- ٢٠). ولأن الكنيسة الأولى كانت تنتظر متلهفة مجيء الرب الثاني، يتحدث يعقوب هنا عن الأيام الأخيرة والتي جاءت سريعًا بعد تاريخ كتابة هذه الرسالة أي خراب أورشليم

"هُوَذَا أُجْرَةُ الْفَعَلَةِ الَّذِينَ حَصَدُوا حُقُولَكُمُ، الْمَبْخُوسَةُ مِنْكُمْ تَصْرُخُ، وَصِيَاحُ الْحَصَّادِينَ قَدْ دَخَلَ إِلَى أُذُنَيْ رَبِّ الْجُنُودِ" (يع ٥: ٤).

يتابع بإصرار قوي على تأكيد اتهاماته الأولى، فيصف خطية وأثم أولئك الأغنياء الظالمين وضغطهم على الأجراء والفقراء، أولئك الأغنياء قساة القلوب الخادعين الفعلة المساكين، ولكن هيهات هيهات لأن الرب يرى ويسمع صراخ المسكين "لَمْ تَثْقُلْ أُذُنُهُ عَنْ أَنْ تَسْمَعَ، وَأُذُنَاهُ إِلَى صُرَاخِهِمْ.. وَأُذْنَيْهِ إِلَى طِلْبَتِهِمْ" (أش ٥٩: ١، مز ٣٤: ١٥، ١ بط ٣: ١٢). هل يا ترى نسوا أن "اَلْقَلِيلُ مَعَ الْعَدْلِ خَيْرٌ مِنْ دَخْل جَزِيل بِغَيْرِ حَقّ.، وأن جَمْعُ الْكُنُوزِ بِلِسَانٍ كَاذِبٍ، هُوَ بُخَارٌ مَطْرُودٌ لِطَالِبِي الْمَوْتِ. وأَنَّ الظَّالِمِينَ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ (أم ١٦: ٨، ٢١: ٦، ٢٢: ١٦، ٢٨: ٨، ١ كو ٦: ٩).

عمال الزراعة الأجراء المعتمدين على الأجر اليومي للمعيشة. قد أنجزوا عملهم بالكامل "حَصَدُوا حُقُولَكُمُ" تلك الأراضي الممتدة بسبب قسوة وخداع أولئك الأغنياء سلبوا أو احتجزوا هذه الأجور تحت غطاء قانوني، والظلم يصرخ. ويصرخ بشدة (لا ١٩: ١٣).

ويصل صراخهم إلى أذني "رَبِّ الْجُنُودِ " صاحب السلطان، كلي القدرة... يحامي ويحارب عنهم. ولاحظوا معي أن هذا التعبير المتكرر كثيراً في العهد القديم. لم يذكر في العهد الجديد إلا هنا. لكي يذكرهم أن هؤلاء الفقراء وليهم حي. رب الجنود "يُقِيمُ دَعْوَاهُمْ" (أم ٢٢: ٢٣)

"قَدْ تَرَفَّهْتُمْ عَلَى الأَرْضِ، وَتَنَعَّمْتُمْ وَرَبَّيْتُمْ قُلُوبَكُمْ، كَمَا فِي يَوْمِ الذَّبْحِ" (يع ٥: ٥).

ويختم هذه الفقرة برسم صورة لحياة شهوانية، مترفهة، "ترفهتم... تنعمتم... ربيتم.." انغماس في أمور هذا العالم، وأمور الذات. فهو لم يشر لانغماس في رذيلة، ولكنه استخدم نفس تعبير (لو ١٦: ١٩)، الذي يشير للتنعم... أما تعبير " وَرَبَّيْتُمْ قُلُوبَكُمْ " يستخدم في الأصل اللغوي لمن يسمن ويعلف "البقر" وهنا يتكلم عن الحياة الداخلية برغباتها وعواطفها. أي الرغبة في حياة متنعمة على الأرض، استمرارية في الطمع والأكل كما لو كانوا عجول تعلف واقترب ميعاد ذبحها.

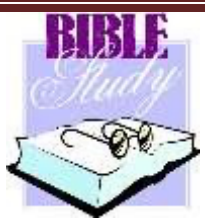

"حَكَمْتُمْ عَلَى الْبَارِّ. قَتَلْتُمُوهُ. لاَ يُقَاوِمُكُمْ!" (يع ٥ : ٦).

يرجح بعض المفسرين أن تعبير "الْبَار" مقصود به شخص ربنا يسوع المسيح (أع ٧: ٥٢)، قتلوه وقتلوا اسطفانوس ويعقوب ابن زبدي، ويسوع "ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه" (أش ٥٣: ٧، أع ٣: ١٤، ٢٢: ١٤) وكلمة "قتلتموه" تستخدم للإشارة عن القتل الفعلي أما زمن الفعل فيشير إلى تكرار الأمر وليس مجرد حادثة فريدة نادرة، ويرى آخرون أنه كان يتكلم عن أضطهاد اليهود للمؤمنين الأبرياء فالأغنياء كانوا يسوقونهم إلى المحاكم، مؤثرين على القضاة الوثنيين في أحكامهم فيظلموهم..

في نهاية هذا الدرس، لنرفع قلوبنا باتضاع أمام الرب مصلين أن يحفظنا من محبة العالم والأشياء التي في العالم، وليكن لنا فكر المسيح الذي من أجلنا افتقر وهو غني لكي نستغنى نحن بفقره ونرنم مع بولس "كَفُقَرَاءَ وَنَحْنُ نُغْنِي كَثِيرِينَ، كَأَنْ لاَ شَيْءَ لَنَا وَنَحْنُ نَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ" (٢ كو ٦: ١٠).

يمكنك ارسال أي مشاركات أو استفسـا رات إلى البريد الالكتروني: sawsanmanse1@gmail.com